Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(7); August 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
06.06.2019	10.07.2019	01.08.2019.

تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة

الدكتورة حبيبة شهرة /أستاذة محاضرة /جامعة عمار ثليجي / الجزائر

ملخص

إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني الإسلامي مهمة في ذاتها للتطوير ومواكبة قضايا العصر، مع مراعاة الضوابط المرعيّة، ومفتاح التجديد هو الوعي والفهم للإسلام من ينابيعه الصافية، بحيث يُفهم فهمًا سليمًا خالصًا من الشوائب، بعيدًا عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن أبرز الضوابط التي يجب أن تراعى فيمن يقوم بهذا التجديد: مراعاة الاختصاص، والموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة، والتمسك بالأصول والثوابت الإسلامية، والتأكيد على محدودية العقل البشري وعدم إحلاله محل الوحي، وإصلاح الفكر الديني في إطار منهجي، والالتزام بأساليب وقواعد اللغة العربية في تفسير النصوص الدينية وتأويلها، وعدم الاعتماد على نصٍّ واحد في الحكم وإغفال بقية النصوص الدينية التي وردت فيه. وتجديد الدين لا يعني تغييره أو تبديله، وإنما يعنى المحافظة عليه ليكون كما نزل غضًّا طريًا، لا لبس فيه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الأسس، الضوابط، الإسلام.

Abstract

The call to renew the Islamic religious discourse is important in itself to develop and keep pace with the issues of the age, taking into account the established rules. The key to renewal is the awareness and understanding of Islam from its pure springs, so that it can be understood properly and free from impurities. One of the most important controls that must be taken into account is the person who carries out this renewal: taking into account the competence, objectivity and impartiality of the desires to reach the truth, and adherence to Islamic principles and principles, Emphasizing the limitations of the human mind and not replacing it with revelation, the reform of religious thought within a systematic framework and adherence to the methods and rules of the Arabic language in the interpretation of religious texts and interpretation, not to rely on one text in the ruling , the omission

of the rest of the religious texts contained therein, renewing the religion does not mean changing it or changing it, but it is meant to preserve it so that it has come down as a simple, a soft touch, unequivocal.

Keywords : Discourse, Fundamentals, Controls, Islam.

مقدمة:

تمر كل أمة مبدئية بحالات من القوة والضعف، ويوجه لها أعدائها هجمات تتناسب وقوتهم، وتكون أثار هذه الهجمات متفاوتة، حسب حال الأمة، وهدف العدو، ونوع الهجمات،

وبعد الهجمات العسكرية والاستعمارية، كان المسلمون يستعيدوا قوتهم ويوقعوا الهزيمة بالكفار، حينها أيقن الغرب الكافر بأن قوة المسلمين تكمن في عقيدتهم، وما يحملوا من أفكار ومفاهيم ومقاييس وقيم وتصورات، لذلك أخذ الغرب يغزو العالم الإسلامي غزواً تبشيرياً وثقافياَ، وأتخذ لذلك الجمعيات التبشيرية والثقافية باسم العلم والإنسانية، وكانت هذه الأعمال والخطط حلقات متصلة أحدثت أثراً بليغاً، ومن نتائجه ما نعانيه اليوم من ضعف وانحطاط[1].ومن ثمَّ لابد من تغيير الخطاب وتجديده، والملاحظ أن المقصود هو الخطاب الإسلامي دون الخطاب المسيحي.

لذلك انطلقت دعوات متعددة من جهات كثيرة تدعوا إلى إعادة النظر في الخطاب الإسلامي، وقد ترافقت هذه الدعوات مع إعلان الإدارة الأمريكية الحرب على الإرهاب، ولم تقف خطورة الحرب على الإرهاب عند حدود الأبعاد السياسية والأمنية في ملاحقة الحركات الإسلامية، وإنما امتدت إلى محاولة التأثير على المجتمعات العربية والمسلمة من خلال تجفيف وتبديد منابع الدين داخل هذه المجتمعات، والعمل على تغيير مناهج التربية والتعليم[2].

ووسيلتهم لتحقيق هذه الأهداف هي مناهج التربية والتعليم، لكون التربية والتعليم هي وسيلة المجتمع لنقل ثقافته والمحافظة على عقيدته، وإرساء المثل والقيم التي يراد غرسها في النشء، وعن طريق التربية تصوغ الجماعة أفرادها، والدول شعوبها وتوجه سلوكهم وأخلاقهم وفق الأهداف التي يسعى إليها المجتمع.

واتساقا مع الحملة الغربية تعالت أصوات تنادي بالدعوة إلى تجديد أو تطوير الخطاب الديني الإسلامي، والتي بدأت في بعض البلدان العربية بتعليمات عليا واضحة، وسرعان ما تحولت إلي تيار جارف ودعوة مبتذله يرددها الكثيرون، ولا تكاد تمر مناسبة بدون توجيه نداء حار لتطوير الخطاب الديني وتغيير المناهج، مما يفرض على الأمة تحديات كبيرة، لكون السهام الغربية موجهة للعمود الفقري للأمة والمتمثل بثقافتها، والتي تميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة، الشهيدة على

[1] – تقي الدين النبهاني، "**الدولة الإسلامية**" الطبعة السابعة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، 2002م، من منشورات حزب التحرير، ص181.

[2] – محمد عمارة "الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني" دار الشروق الدولية، القاهرة، 2004م، ص56.

الناس، وهى بغير هذه الثقافة ضائعة مبهمة الملامح، وكون التربية والتعليم من أهم الضمانات للحفاظ علي ثقافة الأمة ونقلها عبر الأجيال يضع الأمة بمجموعها أمام تحدي تربوي كبير.

وإيماناً منا بخطورة الهجمة وعمقها، وخطورة أدواتها من عملاء فكريين، وممن يسمون علماء باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، ومع شعورهم أن الأمر يصعب على الأمة هضمه في ضل توجه الأمة لاستئناف الحياة الإسلامية، تطلب ذلك غموضاً وإبهاماً وعدم وضوح متعمد، بمعنى هل المراد بتطوير الخطاب الديني الأساليب والوسائل (الشكليات)، أم المضمون (القيم والتصورات والمبادئ).

لذلك جاء هذا البحث المتواضع ليناقش المحاور التالية:

المحور الأول: تعريف الخطاب الديني ماهية وأسسه:

المحور الثاني: خصائص الخطاب الديني ومقاصد تجديده في الفترة الحالية.

الثالث: ضوابط التجديد في الخطاب الديني.

المحور الأول: تعريف الخطاب الديني وتعريف ماهية وأسسه:

1- التعريف اللغوي والاصطلاحي للخطاب الديني:

الخطاب الديني بهذا التركيب الإضافي هو مصطلح جديد، ذاع في العصر الحديث، وأول من أطلقه الغرب، ولم يُعرف هذا الاصطلاح من قبل في ثقافة المسلمين، بمعنى أنه ليس مصطلحا له وضع شرعي في الإسلام كالمصطلحات الشرعية الأخرى مثل الجهاد والخلافة والديار والخراج.... الخ، وإنما هو مصطلح جديد، اصطلح عليه أهل هذا الزمان، وقبل أن نشرع بالتعريف الاصطلاحي لكلمة (الخطاب) سنبدأ بالتعريف اللغوي أولا، لأن مدلولات اللغة غالبا ما تؤثر في المصطلحات والمعاني التي يصطلح عليها الناس.

أولاً: تعريف الخطاب لغةً: جاء في لسان العرب أن (الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب)[1].

وجاءت مادة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾(ص:20)، وقال جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ (الفرقان:63)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (هود:37).

ثانياً: تعريف الخطاب اصطلاحاً: وعرف بأنه (كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)[2].

[1]- ابن منظور " لسان العرب – مادة "خطب". ص170

[2]- أحمد عبدالله الطيار "تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد" حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد 22، المجلد الثالث 2005م، ص12

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرف الخطاب بأنه إيصال الأفكار إلى الآخرين بواسطة الكلام المفهوم، واللغة في ذلك هي أداة الخطاب يعني وعاء الأفكار، وعندما ننسب الخطاب إلى الدين، ونحن هنا نقصد الدين الإسلامي قطعا، وإن كان يسمى الخطاب الديني غير الإسلامي خطابا دينيا، كالخطاب الديني النصراني، واليهودي... حتى أنه حينما أطلق الغرب هذا المصطلح، قصد به خطاب الإسلام.

وعليه فالخطاب الإسلامي هو الرسالة التي نزلت من فوق سبع سماوات عن طريق الوحي، لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم وأنفسهم وغيرهم، وهذا الخطاب هو الذي يحدد المصلحة من المفسدة، والصالح من الطالح، والمستقيم من المعوج، والمؤمن من الكافر، والصواب من الخطأ، ويقرر السلم من الحرب، وهو الميزان الذي يفصل في ميزان الخلق إلى الجنة أو النار، هذا هو الخطاب الإسلامي المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو محفوظ بحفظ الله إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(الحجر:9)، والخطاب الديني هو معنى الحكم الشرعي (خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد بالاقتضاء أو بالوضع أو التخيير)[1].

2- تعريف أسس الخطاب الديني:

يقوم خطاب الإسلام على أساسين بينهما ارتباط وثيق وامتزاج وتلازم إلى حد عدم الانفصال، وهما مجتمعان يشكلان الخطاب الإسلامي.

أولاً: الوحي: وهو المتمثل بنصوص القران الكريم ونصوص السنة النبوية، وما أرشد إليه من إجماع صحابة وقياس، وهي المصادر الأربعة التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، وينتج عنها كل فكر إسلامي، وأول هذه المصادر هو:

1-**الكتاب الكريم**: (وهو القرآن المنزل علي سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وهو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة نقلا متواترا)[2]. وهو المصدر الأول للتشريع قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء:9).

2- **السنة النبوية: وهي** (كل ما صدر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير) [3]. والسنة هي المصدر الثاني للتشريع والاستدلال بها كالاستدلال بالقران تماما لا فرق بينهما قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء:59)، ويكون الرد بعد وفاة الرسول ﷺ بإتباع سنته من بعده، قال تعالى:﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(الحشر:7).

---

[1]- عطا أبو الرشتة "دراسات في أصول الفقه – تيسير الوصول إلى الأصول"، ص7.

[2]- سيف الدين الآمدي " الإحكام في أصول الأحكام "، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1985م، ج/1، ص137.

[3]- سيف الدين الآمدي " الإحكام في أصول الأحكام" ج/9، ص 145.

3- **الإجماع:** وهو إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وهو حجة باتفاق لأنه قامت الأدلة القطعية على حجيته والخلاف وقع في حجة إجماع من بعدهم وهو الإجماع الوحيد الذي لم يختلف فيه الأصوليون وهو يكشف عن دليل لم يصل إلينا.[1]

4- **القياس:** (وهو إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت)[2]. هذه هي المصادر المتفق عليها عند جمهور العلماء، وهي بمجموعها تشكل الأساس الأول الذي يقوم عليه الخطاب الإسلامي، وهناك مصادر أخرى مختلف عليها بين العلماء، مثل المصالح المرسلة، والاستحسان، وسد الذرائع، ومذهب الصحابي، وهذه تبقى شبه أدلة وما تفرع عنها بصحيح النظر يعتبر من الثقافة الإسلامية أيضا ويندرج تحت الخطاب الإسلامي [3].

ثانياً: اللغة العربية :وهي لغة الإسلام ووعاء أفكاره ومعارفه، وهي جزء جوهري في إعجاز القران، والقرآن لا يكون قرآنا إلا بها، قال الله تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف:3)، ولا يمكن الاجتهاد إلا بها، وهي شرط أساسي من شروط الاجتهاد، لأن النصوص الشرعية جاءت من عند الله بلفظها، فالله سبحانه وتعالى اختار اللغة العربية وعاء للدين لما في اللغة العربية من مزايا وخصائص تمتاز بها عن اللغات الأخرى، والقرآن هو معجزة لرسولنا ﷺ، وهو دليل على صدق نبوته، وبالتالي هو دليل على صدق الإسلام، وإعجازه ليس مقصورا على العرب دون غيرهم، بل جاء التحدي للعالمين جميعا، قال الله تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(الإسراء:88) لذلك كانت اللغة العربية هي الأساس الثاني للخطاب الإسلامي، ولا يمكن أن يفهم هذا الخطاب إلا بلغته.

المحور الثاني: خصائص الخطاب الديني ومقاصد تجديده في الفترة الحالية.

1- خصائص الخطاب الديني :

والخطاب الإسلامي يتميز عن غيره من الخطابات الدينية والمبدئية، وأهم خصائصه هي :

1-**أنه خطاب عالمي**، بمعنى أنه جاء يخاطب البشرية جمعاء بقطع النظر عن أعراقهم وأجناسهم وألوانهم واختلاف ألسنتهم، لذا خاطبهم القرآن بـ (يا بني آدم) و(يا أيها الناس)، فالإسلام دين عالمي، قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:107)، لكن الخطاب الموجه إلى الكفار، يختلف عن الخطاب الموجه إلى المسلمين، وهذا يبرز في كيفية خطاب القرآن للكفار، حيث كان يخاطبهم في أصول الاعتقاد، ويدحض الشبهات والافتراءات التي يثيرونها، ولا يخاطبهم في الفروع، فالخطاب إما أن يكون موجه إلى الكفار مباشرة بدعوتهم لاعتناق الإسلام والدخول فيه وترك ما يخالفه، كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:21)، وإما أن يكون موجه

[1]- محمود عبدالكريم حسن "المصالح المرسلة "، دار النهضة، ط1، 1995م، ص23.

[2]- نفس المصدر ج/12، ص24.

[3]- تقي الدين النبهاني "الشخصية الإسلامية"، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة،2005م ، ج/3، ص404.

إلى المسلمين، وذلك بدعوتهم إلى الالتزام بأحكام الإسلام وعدم الحيد عنها وتطبيقها في الحياة، وغالبا ما يكون الخطاب بأحب ما يسمعه المسلمون (يا أيها الذين آمنوا)، وهو خطاب يستهدف العالم جميعا في سبيل إزالة الحواجز المادية التي تحول دون الوصول إلى عقول وقلوب الناس .

2-**أنه خطاب شمولي**، وهو بذلك يختلف عن الديانات الأخرى، فهو شامل لجميع مناحي الحياة المتصلة في تنظيم علاقة الإنسان بخالقه وبنفسه وغيره وفيه الخطاب العقائدي، مثل قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:21)، وفيه الخطاب السياسي، قال الله تعالى:﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ﴾(المائدة:49)، وورد عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال:(كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ: (أوفُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ)[1] ونقصد بالسياسة معناها الشرعي وهي رعاية شؤون الرعية بالأحكام الشرعية، وفيه الخطاب الاقتصادي، قال الله تعالى:﴿وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(البقرة:275)، والسنة مليئة بالأحاديث التي تنظم المعاملات المالية بين الناس بنظام دقيق لا مثيل له، ويشتمل على الخطاب الاجتماعي الذي يعالج مشاكل الأسرة والمجتمع، قال تعالى:﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(النور:33)، وقال الله تعالى:﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا﴾(الإسراء:32).

3-يحقق الطمأنينة والسعادة والاستقرار والأمن في الحياة الإنسانية، قال تعالى:﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(طه:123،124)، فإذا أقام المؤمنون الدين في الحياة كانوا هم المستخلفين في الأرض وكان لهم التمكين كما مكن لأسلافهم، ويزول عنهم الخوف الذي كان يغشاهم، ويتحقق لهم الأمن في ظل الحياة الإسلامية، والإسلام يقوم على عقيدة التوحيد التي تملأ العقل قناعة، وتوافق فطرة الإنسان، وتملأ القلب طمأنينة.

4-**وهو خطاب نهضوي**، أي أنه جاء لينهض بالإنسان النهضة الصحيحة ويميزه عن غيره من المخلوقات، والإسلام أعطى المفاهيم والتصورات عن لغز الوجود والحياة وحل العقدة الكبرى عند الإنسان حلا صحيحا بواسطة الفكر المستنير وهو الحل الوحيد الذي يوافق فطرة الإنسان، ويملأ العقل قناعة والقلب طمأنينة[2]. والإنسان بغير هذه المفاهيم الراقية يبقى أسير الهوى والضلال والتخلف والعبودية للعباد والانحطاط الحيواني قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(الأعراف:179)، وخطاب الإسلام يحقق النهضة للفرد والمجتمع والدولة.

[1] – صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل"، جزء 11، ص271.

[2] – تقي الدين النبهاني " نظام الإسلام "، من منشورات حزب التحرير، الطبعة السادسة، 2001م، ص5.

5-**أنه خطاب مؤثر**، لأنه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة، ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه في نفس اللحظة التي يستثير فيها عقله، وهو الذي جعل الطفيل بن عمرو الدوسي يقول لما سمع خطاب القرآن من الرسول ﷺ (فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه)[1]، الأمثلة كثيرة في من آمن بمجرد سماع خطاب القرآن، وهو مؤثر أيضا في نفوس المؤمنين، قال تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(الأنفال:2)، فالخطاب الإسلامي يمدهم بالطاقة الروحية التي تجعل من الضعيف قويا، ومن المهزوم منتصرا، وهذا لغز انتصار المسلمين مع قلة عددهم وضعف إمكانياتهم على عدوهم رغم كثرة أعدادهم وقوة عدتهم. لذلك يجب على الخطباء أن يقربوا أفكار الإسلام ومفاهيمه للناس كما فعل الرسول ﷺ بأن جعل الأفكار الإسلامية محركة لسلوك الناس، وليس مجرد معلومات يتلقاها دون أن تتحول إلى مفاهيم مسيرة للسلوك، وأنها أفكار تعالج الواقع، يتلقاها المسلم ليغير بها الواقع، وليس مجرد مواعظ وإرشادات فقط .

6-**وهو خطاب ثابت لا يتغير بتغير الأمكنة والأزمنة**، والمقصود بالخطاب الثابت هو الأحكام الشرعية، فإذا عالج الحكم الشرعي قضية ما تبقى القضية تأخذ نفس الحكم، فإذا كان هناك واقع جديد فأنه يحتاج إلى حكم أخر، أما الأساليب والوسائل فإنها تتغير وتتبدل، وقد أعطي لكل مسألة حكماً خاصاً بها، وفيه من السعة والشمول، بحيث لا يستجد شيء إلا وأعطاه حكماً من الشرع، وهو الدين الوحيد الذي أعطى كل الحوادث الماضية والحاضرة وحتى في المستقبل أحكاماً شرعية، فهو يفرض على الواقع التغير حسب مقتضياته، ولا يرضى بأنصاف الحلول مهما كان ولا تتغير أحكامه مطلقا، وهي صالحة لكل زمان ومكان، والغاية لا تبرر الوسيلة هي من أسس الخطاب الديني، قال الله تعالى:﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾(الشورى:15).

7- **أنه خطاب وحدوي**، يقوم على صهر الناس من خلال المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام، وهو لا يقبل الارتباط بغير العقيدة الإسلامية، واعتبر الروابط الأخرى من أمر الجاهلية، وأنها لا تصلح لأن تربط بني الإنسان ببعضهم، لأنها روابط منحطة لا تليق بالإنسان، قال الله تعالى:﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾(المؤمنون:52)، فرابطة العقيدة لا تتقطع باختلاف النسب، ورابطة النسب تتقطع باختلاف العقيدة .

2- مقاصد تجديد الخطاب الديني في الفترة الحالية.

جاءت هذه الدعوة متزامنة مع إعلان بوش الحرب الصليبية على الأمة الإسلامية، وكان المقصود من (الخطاب الديني)، هو خطاب الإسلام دون غيره، وهذه الدعوة قديمة جديدة فقد كانت منذ الحملات الاستشرافية والتبشيرية على بلاد المسلمين كأحد أذرع صراع الحضارات التي يواجه الغرب بها الحضارة الإسلامية منذ قرون. وحتى لا يلتبس الأمر على

[1]- ابن هشام " السيرة النبوية "، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، 1999م، ج/1، ص24.

المسلمين فان كلمة (تجديد) قد وردت في الحديث الذي رواه أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا)[1]، والتجديد هو إعادة الشيء إلى أصله أو على مثل ما كان عليه، وبذلك فالحديث يقصد إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من الزمان من يعيد الأمة إلى مسارها الصحيح، ويبدد عنها الانحرافات والضلالات التي أصابت الأمة عبر قرن من الزمان، ومسار الأمة الصحيح إلى يوم القيامة هو كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ قال الرسول ﷺ في حجة الوداع (وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه)[2] ، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رَسُول اللَّهِ ﷺ موعظة بليغة...، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[3]، فالتجديد في مفهوم المسلمين يعني أن نرجع إلى الطريق الصحيح والنبع الصافي، وهو المتمثل في كتابه وسنة رسوله ﷺ هذا من حيث معنى التجديد في الفكر الإسلامي.

وليس المقصود أيضا من التجديد التغير في الوسائل والأساليب المستخدمة في توصيل الخطاب للآخرين، فالأساليب والوسائل تعتبر من شكليات الخطاب الديني وليست من مضامينه، وهي لم ينص عليها الشارع وترك التخيير فيها للمسلمين على ألا تخالف حدود الخطاب، فالأصل في الأساليب والوسائل الجواز ما لم تخالف نصا وعلى ألا يتوقف عليها قيام فرض فعندها تندرج تحت قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

أما الذي عناه الغرب من فكرة (تطوير الخطاب الديني)، إنما هو تغيير وتبديل وتحريف في جوهر الإسلام، لأن الغرب يرى أن الإسلام يحمل مفاهيماً متميزة وخطابه يقوم على التمايز وعدم الاندماج والتمييع، وهو يحمل وجهة نظر خاصة، ويطرح نظاماً بديلا لكل الأنظمة الوضعية، وبذلك فهو يشكل تهديدا صريحا لمصالح الغرب، ولذا تعالت أصوات الساسة الغربيين بضرورة تطوير الخطاب الديني عبر صياغة جديدة تُرْضي آمال الغرب، وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال: هل المقصود من فكرة تجديد الخطاب الديني المعنى اللفظي واللغوي والشكلي للكلمات، أم المقصود المضامين والأفكار الكبرى التي يدعو إليها هذا الخطاب الديني؟

فمصطلح الخطاب نفسه وبمفرده يُستعمل بشكل مُبهم وغير محدد وربما عن عمد ليسهل استخدامه لأداء مهام عديدة ليست كلها ذات طابع فكري، كما قد يفترض بل تتسم بالطابع السياسي والحقيقة أن مصطلح "الخطاب الديني" نفسه قد وقع ضحية لقوانين القوة التي تستخدمها السلطة الحاكمة صاحبة النفوذ في العالم العربي، مدعومة ببعض القوى

[1] – سنن أبي داود "كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة "، ج/11، ص362.

[2] – سنن الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي دار الغد الجديد، القاهرة، 1435هـ- 2015م.

[3] – سنن الترمذي كتاب العلم عن رسول الله باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ،المصر السابق، ص864.

العلمانية التي تساندها، مستخدمة إمكانياتها الاجتماعية والإعلامية والمادية في السيطرة والتحكم في طريقة التجديد وطبيعته، والتعامل مع الثوابت بنفس طريقة التعاطي مع الفرعيات[1]

والحادث أن هناك تباينًا في الحديث عن الخطاب الديني المتسم بالروتينية والتكرار للمطالب التي تدعو إلى التسامح مع الآخرين وحقوق المرأة والشباب... إلخ، وحديث آخر يخوض في عقائد الدين الأساسية ويزعزعها لدى الجماهير تحت اسم تجديد الخطاب الديني وهو التجديد الذي وصل عند هذا الفريق إلى حدِّ هدم الخطاب من أساسه[2]

ومن اللافت للنظر أن هذه الدعوة تساندها هيئات دينية رسمية وغير رسمية وشخصيات غير متخصصة ليس لها علاقة بالتراث وطريقة نقده، بل تهدف إلى الهدم تحت دعوى تجديد وبناء الخطاب الديني، وتقوم هذه المؤسسات وهؤلاء الأشخاص بالترويج إلى أننا في حاجة ماسَّة إلى "ثورة دينية"، يعبِّرون عنها بالدعوة إلى التغيير في المناهج التعليمية، وفي البرامج الإعلامية والكتابات الصحفية[3].

إذن هذه الدعوة تحتاج إلى تصويب المسار حتى لا ندخل في جدل عقيم حول طبيعة التغيير وطريقة التجديد، فليس التجديد أن نجاري الغرب في فصله للدين عن الدنيا، وليس هو العمل المرتجل، أو الثائر العنيف الذي يفسد ولا يصلح، ولكنه التجديد الحكيم، والرشيد، والمسؤول، الذي يراعي مقاصد الشرع ويأخذ بفقه الأولويات، ويضع القائمون عليه في اعتبارهم المصلحة العامة والضرورات التي تُقدَّر بقدرها، من دون تجاوز للثوابت في نصوص القرآن الكريم وصحيح الحديث النبوي. فهذه النصوص لا يلحقها التجديد، لأنها هي الثوابت القطعية والقواعد الكلية للدين الحنيف، وليس من الحكمة أن ننقل ما جرى في الغرب خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من صراع بين الكنيسة والمفكرين العقلانيين معيارًا لما نريده من التجديد الذي ننشده ويتوجب أن نعمل من أجله. فإذا كانت المسيحية الغربية قد عرفت ما يُذكَر في التاريخ بالثورة على الدين، فإن تجديد الخطاب الديني في العالم الإسلامي لا ينبغي أن يسير في هذا الاتجاه، لاختلاف طبيعة المسيحية ومقاصدها التي ثار عليها الغرب، وطبيعة الإسلام ومقاصده التي يحيا بها المسلمون.

كما أن إطلاق الكلام على عواهنه بنقد النصوص الدينية واتهام الأمة الإسلامية كافة بأنها تريد القضاء على غيرها من أمم العالم، هو تجنٍّ غريبٌ وتفكير عجيب لم يصدر حتى من أشد أعداء الإسلام في أي عصر من العصور، فالتطرف الذي تتصف به قلة من المسلمين، هو انحراف عن الصراط المستقيم، وشذوذ لا يمكن أن يُعمَّم على أكثر من مليار ونصف المليار من المسلمين في العالم[4].

---

[1] – يحي، مُحَمَّد، تجديد الخطاب الديني: ضرورة فهم المصطلح ومقاصده، موقع المقالات، إسلام ويب (تاريخ الدخول: 8 إبريل/نيسان 2019)، الرابط : http://articles.islamweb.net

[2] – المرجع السابق. ص 13

[3] – عبد الفتاح، سيف الدين، تجديد الخطاب الديني: الطبعة الانقلابية، موقع عربي21، (تاريخ الدخول 8 إبريل/نيسان 2019)، الرابط: : http://arabi21.com/story

[4] – التويجري، عبد العزيز، في مفهوم تجديد الخطاب الديني، صحيفة الحياة، تاريخ الدخول: 15 إبريل 2019، http://alhayat.com/writers

وتجديد الدين لا يعني تغييره أو تبديله، وإنما يعنى المحافظة عليه ليكون كما نزل غضًّا طريًا، ويأتي هذا التجديد إذا مرت عليه أحوال وتغيير حتى صار قديمًا، ويأتي هذا التغيير من أحد الأمور:إما أن تُطمس بعض معالمه، حتى لا تتضح لمن ينظر فيها، وإما أن يُقتطع منه شيء؛ فتنتقص بذلك مكوناته، إما أن يُضاف إليه ويزاد فيه، حتى تختلف صورته.

فالمرحلة الحالية التي يمر بها العالم العربي والإسلامي، من تصاعد موجات الكراهية والتطرف والعنف والإرهاب والتكفير التي انتشرت– دون علم أو معرفة بطبيعة هذا الدين – تحت دعاوى باطلة تتخذ من الإسلام مرجعية لها، تستدعي أن نجعل من تجديد الخطاب الديني، بصورة عامة، قضية تتصدر القضايا المهمة التي نوليها قدرًا كبيرًا من اهتماماتنا، بدءًا من تحرير هذه المسألة، وانتهاء بتحديد الغايات التي يُقصد إليها من وراء هذا التجديد الذي بات من الواجبات الملحَّة، فلا ينبغي أن يكون تجديد الخطاب الديني، إضعافًا للدِّين في حياة المسلمين، بإقصائه أو بالتقليل من تأثيره، أو بالعبث به جهلًا وتفريطًا وانسياقًا مع الأهواء؛ فهذا الصنيع هو إلى التبديد أقرب منه إلى التجديد.

وعلى ذلك فإن تجديد الخطاب الديني لا يعني التجديد لأصول الدين وثوابته، فهذه مسائل غير قابلة للتجديد أو التغيير، لأنها أركان يقوم عليها بنيان الإسلام وشريعته؛ "فالتجديد إذن هو عودة للمنابع والأصول عودة كاملة صافية، ودعوة للثبات على الحق، وترك التقليد القائم على الاتباع والمحاكاة على غير بصيرة، ومن هنا يتبين أن التجديد عملية إصلاحية محافظة، وليس عملية تخريبية منفلتة" [1] وهناك بعض الأسباب التي تجعل من التجديد ضرورة لازمة:

أولًا :غياب بعض معالم الدين: حيث ظهر بعض الفلسفات والتقاليد والعادات التي غيَّرت فهم الناس لكثير من حقائق الدين الإسلامي، وظهر ذلك جليًّا بكثرة الفساد واتساع رقعة الانحراف، وتفشي البدع والضلالات، وانفتاح بلاد المسلمين أمام الفلسفات والثقافات والعادات الغربية السلبية، كما شهد النظام الدولي تحولات نحو هيمنة النظام الأميركي على باقي أنظمة العالم، وكذلك إخضاع الأنظمة السياسية والاقتصادية للمصالح الأميركية، ولكي يتحقق ذلك فلابد من تهميش الأنظمة الحضارية ذات الجذور الدينية، مثل النظام الإسلامي، حتى تتهيأ الشعوب لقبول النموذج الأميركي في الحياة باعتبار أنه أفضل النماذج التي تمثِّل حضارة العصر الذي نحياه، كل ذلك أدى بدوره إلى غياب بعض معالم وحقائق هذا الدين[2].

ثانيًا :الخلل في فهم مراتب الأعمال الشرعية في الخطاب الديني: فالميدان الدعوي امتلأ بأصوات كثيرة انطلقت لتبليغ الإسلام وهداية الناس، لكنَّ جزءًا منها لم يحمل صفات الدعاة الفقهاء؛ مما أدى إلى اختلال ميزان الترتيب الدعوي، ومن مظاهر ذلك تركيز الوعَّاظ وخطباء المنابر على الأمور الفرعية والهامشية، وتعظيم الأمور الهيِّنة، وتهوين الأمور العظيمة،

[1] – الشريف، محمَّد بن شاكر، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، كتاب البيان، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى 2004م، ص12.

2– عبد السلام، جعفر، الحفاظ على الهوية الإسلامية في إطار التجديد، نشْر المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ص 62 وما بعدها بتصرف.

فيقيموا الدنيا ويقعدونها من أجل الإصبع في التشهد هل نحركه أم لا؟ أو البسملة في الصلاة هل نجهر بها أو لا؟ وما إلى ذلك من المسائل الفرعية التي طال فيها الجدل، وإغفال الكثير من القضايا المهمة، كقضية التخلف الاقتصادي والسياسي، وتزوير الإرادة الشعبية في الانتخابات، وإهدار مصالح الخلق، وأكل أموال الناس بالباطل، والغني الفاحش في مقابل الفقر المدقع، والأمِّية وغير ذلك من القضايا الأساسية[1].

ثالثًا :عدم تقدير المصالح والمفاسد في بعض ألوان الخطاب الديني "الفتاوى والأحكام الشرعية": فتقدير المصالح والمفاسد لا يُبنى على النظرة السطحية، بل لابد من النظر في مآلات الأمور، وقراءة الواقع قراءة جيدة كقراءة النصوص ليصدر عن ذلك فتوى صائبة تُحسن تقدير المصالح كما تحسن تقدير المفاسد. "فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فيُنظر في المعارِض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل منه المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به بل يكون محرَّمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته[2]"قال ابن القيم: لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن، والأمارات والعلامات حتى يحيط به علمًا. والثاني: هو فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع ثم يُطبق أحدهما على الآخر[3].

رابعًا :ظهور بعض الأحداث المُستجدة التي لم تكن موجودة من قبل: فلو نظرنا إلى الواقع الإنساني بمستجداته الحديثة، المعبَّر عنها بروح العصر لوجدنا كمًّا هائلًا من العادات، والأعراف، والحوادث التي ظهرت في الواقع المعاصر، لم تكن موجودة من قبل، وتطور هذا الواقع ليس بالضرورة أن يكون تطورًا نحو الأفضل في جميع نواحيه، بل قد يكون التطور نحو الأفضل وإلى الخير، وقد يكون نحو الباطل وإلى الشر، فالحوادث المستجدة والمشكلات المتجددة لابد لها من حلول وأحكام، وهنا تظهر الحاجة إلى التجديد، ويأتي دور الاجتهاد وتنزيل النصوص الشرعية على ما تطوَّر واستجدَّ من أحداث. قال الشاطبي: فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلابد من حدوث وقائع لا يكون منصوصًا على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، فإمَّا أن يُترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضًا اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزومًا، وهو مؤدٍّ إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لابد من الاجتهاد في كل زمان؛ لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان[4].

1- محمد، محمد عماد، خطبة الجمعة في العالم الإسلامي ملاحظات لابد منها، كتاب الأمة، العدد 28، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر،ص61.
2- ابن تيمية، أحمد عبدالحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م، ص41.
3- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت لبنان 1973، ج1،ص88
4- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الثانية 1975، 104/4.ص78.

ودور المجتهد أو المجدد هنا يكمن في المحاولة الهادفة لتنزيل الوحي على الواقع المتطور، وهذا التنزيل يستلزم مرحلتين: الأولى: فهم مراد الله في الأوامر والنواهي، الثانية: جعل هذا المراد الإلهي حكمًا على الواقع المتطور، والأحداث المستجدة. "فكون هذه الشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان مرهونان بالتجديد الدائم في الفكر والفقه والخطاب الإسلامي لمواكبة مقتضيات ومتطلبات مستجدات الواقع المتطور دائمًا وأبدًا، ولبقاء حُجَّة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين [1]، وبذلك تظل الحاجة الدائمة والمستمرة إلى التجديد.

المحور الثالث: ضوابط التجديد في الخطاب الديني

المقصود بالضوابط مجموعة القواعد والمحاذير الواجب مراعاتها فيمن يقوم بتجديد الخطاب الإسلامي، والتي تضبط حركة العقل والانفعالات لدى الإنسان فتأتي النتائج إيجابية، خالية من الانحرافات الفكرية والتصورية التي تخالف الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

وللتجديد، ضوابط تحكمه، تنبع من طبيعة الغايات التي يسعى إليها. وما دام التجديد في هذا السياق، يتناول الخطاب الديني عمومًا وفي جميع حقوله، فإن الغاية منه هي تجويد هذا الخطاب شكلًا ومضمونًا، والارتقاء به، وإكسابه مقومات التكيُّف مع العصر، من أجل أن يكون أداة لتبليغ الرسالة الإسلامية، ووسيلة لبناء الإنسان الذي يعرف دينه، وينفتح على عصره، ويندمج في محيطه، ويحترم من يخالفه في المعتقد والرأي والموقف وأسلوب الحياة، ويتحاور معه، ولا ينأ بنفسه عنه، أو يتخذ منه عدوًّا له لمجرد أنه يختلف معه في أمور كثيرة[2].

ومن أبرز هذه الضوابط ما يلي:

أولًا :مراعاة الاختصاص: فمن يريد أن يجدِّد في الخطاب الديني، لابد أن يكون متخصصًا في المجال الذي يريد أن يجدد فيه، حتى لا يكون مثل الذي يتحدث في الإسلام من غير أهله كالحلَّاق الذي اشتغل بمداوة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة سوى تنظيف الجراح وتناول الدواء لتكين الآلام.

ونرى اليوم من يتجرَّأ على التجديد من غير المؤهلين، فضلًا عمَّن لا علاقة لهم من قريب ولا من بعيد بالإسلام وعلومه وفنونه، ومن لا علم له ولا فقه ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئًا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ، والمصالح والمفاسد، وهؤلاء وإن كانوا بارعين في مجالات معينة أو في اختصاصاتهم وفنونهم التي يشتغلون بها، لكنهم في العلم الشرعي لا يخرجون من فصيلة العوام، فالتجديد مهمة الراسخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة عبر المجامع والمؤتمرات العلمية الجامعة التي تتمتع بالاستقلال

1- عمارة، محمد، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ، ص7، 8.

2- التويجري، مرجع سابق.ص17.

وحرية الرأي[1]، فأحكام الإسلام ليست "بأقل حرمة من قضايا الهندسة، والطب والجغرافيا، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يُفْتُونا في أدق الشؤون الطبية ولا في أوضحها فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات الدينية الإسلامية أن يفتونا في شؤون ديننا"[2].

ثانيًا :الموضوعية والتجرد من الأهواء للوصول إلى الحقيقة: الموضوعية تتطلب البحث عن الحقيقة، والتمسك بالحق بعيدًا عن الأهواء والمزاعم الفاسدة، كالكِبْر والمذهبية والتقليد وغيرها، وذلك يتم من خلال ثلاث خطوات:

-استهداف الحقيقة :فالموضوعية تتطلب البحث عن الصواب والحق، قال أبو حامد الغزالي: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضَّالَّة لا يُفرِّق بين أن تظهر على يده أو غيره" [3].

- الانطلاق من الحق :الذي يجعل المجدِّد يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية.

- الأخذ بالحق دون المراوغة فيه: أو اكتفاء بما يوافق الهوى منه أو الوقوف عند حدِّ الاعتراف النظري به.

ومن هنا يتبين أن هذا الضابط من أهم الضوابط اللازمة لتجديد الخطاب الإسلامي وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي[4].

ثالثًا :التمسك بالأصول والثوابت الإسلامية: أصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأية حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها يدخل في إطار التبديد، كالتجديد في العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنا والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها، وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبرٍّ وإكرام، وكذا ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة والحدود والقصاص والمعاملات، وأمور الأسرة من زواج وطلاق وإرث، وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية من منظور الإسلام، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

والتعامل مع الثوابت والمتغيرات على وجه واحد إمَّا أن يفضي بالثوابت إلى التحلل وضياع الهوية الدينية، وانصهار العقيدة الإسلامية في الملل والنحل الأخرى، وإما أن يفضي بالمتغيرات إلى الجمود والتقليد، وكلتاهما يضيع الدين بينهما.

1- العماري، علي، أدعياء التجديد مبددون لا مجددون، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ - 1994م، ص13 بتصرف.

2- سمك، عبد الله علي عبد الحميد، البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي، مطبعة العمرانية، القاهرة، 1994، ص16.

3- الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد، إحياء علوم الدين، مكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، ج/1، ص44.

4- القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ص 158.

رابعًا :التأكيد على محدودية العقل البشري وعدم إحلاله محل الوحي: هناك من الأمور ما هو فوق طاقة العقل البشري، وخارج عن حدوده، وأي خوض فيه إنما هو تخبط لا يجني العقل من ورائه إلا الشقاء والضلال، وذلك لأن العقل الإنساني مقيد بإطار الزمان والمكان الحسيين، والنشاط العقلي لا يتجاوز بمفرده دائرة الكون المحسوس، لأنها خارج نطاقه وقدراته ولهذا يجيء الوحي الإلهي ليكمل للإنسان دائرة المعرفة فيخبره بما هو خارج عن قدراته من عوالم الغيب المختلفة.

وإذا كان الإسلام قد حجب العقل عن معرفة الكُنه والجوهر في الوجود الغيبي، فإنه قد دفعه إلى تعقله عن طريق المعرفة بآثاره وصفاته، كما دفعه إلى استخدام الأدلة والبراهين المثبتة له، وفرق كبير بين العلم بكنهها وجوهرها، وما أكثر الأمور التي نؤمن بها ولكننا لا نعرف كنهها كالعرش والكرسي والميزان والصراط وغير ذلك من عوالم الغيب، والقدر الذي أوقفنا الإسلام عليه، وأي تزيُّد على ما أخبر به الوحي هو تنطع في الدين، وشرود بالعقل في غير مجاله ولن يعود بفائدة على الإنسان[1] كما أن أي تأويل لهذه الأمور الغيبية إنما هو خروج بها عن حقيقتها وتجاوز واضح للعقل يفضي إلى تحريف الدين وتبديله لا تجديده، وتعدٍّ على دائرة الوحي والتشريع لا يحصد العقل من ورائه إلا الحيرة والاضطراب.

خامسًا :إصلاح الفكر الديني في إطار منهجي: الأمة الإسلامية قد أصيبت بخلل فكري، وتضارب في العقول نتج عنه تشتت الأنفس وتناقض الأفكار، والوقوع في الحيرة والاضطراب، فاستلزم ذلك إصلاح الفكر وتجديده من خلال المنهج الإسلامي الرشيد، وهذا ليس بالأمر الهين البسيط، بل هو من أصعب الأمور وأكثرها تعقيدًا وأشدها خطورة؛ إذ إن مهمة الإصلاح والتجديد تلي في المنزلة عمل الأنبياء والمرسلين في بناء الإنسان وإعادة تشكيل هيكله الفكري والثقافي عن الدين والكون والحياة، فالمشكلة الأساس هي التعامل مع القيم، والإنتاج الفكري الذي يجسد العلاقة بين هذه القيم بمنطلقاتها وأهدافها وبين العصر، ويساهم باستصحاب الرؤية القرآنية، ويدرك عالم الخلود في الرسالة الإسلامية وقدرتها على العطاء المتجدد المجرد عن حدود الزمان والمكان لحل المشكلات البشرية، وهذه وظيفة الفكر، أو عالم الأفكار الذي نعاني من التأزم فيه، ولذلك يمكن القول: إن الخلط بين ما نسميه الأزمة الفكرية التي يعاني منها العقل المسلم، والتي أورثته العجز عن التعامل مع القيم من جانب، أفقدته القدرة على تنزيلها على الواقع الإنساني، وبين التوهم بأن الأزمة في القيم نفسها، كان وراء الكثير من المغالطات والتراجعات والحواجز النفسية التي لا تزال تُكرِّس التخلف باسم التدين[2].

لذا فمراعاة هذا الضابط، وتحديد مفهومه وعدم الخلط بين إصلاح الفكر وإصلاح القيم التي جاء بها الوحي من الضروريات المهمة للنهوض بالعملية التجديدية للخطاب الإسلامي، وإقامة البناء المعرفي والثقافي للأمة الإسلامية ومن ثم إعادة الدور الحضاري لها.

1- صابر، حلمي عبد المنعم، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، صادر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة السنة السادسة عشرة العدد 183 عام 1418هـ، ص 121، 122.

2- العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1992م، ص14.

سادسا :عدم الاعتماد على نصٍّ واحد في الحكم، وإغفال بقية النصوص الدينية التي وردت فيه: الباحث المنصف لا يستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح والتفسير الصائب لنص مقتطع من نسق فكري كامل دون مراعاة المجموع أو تبيين الدلالة المستفادة من نص دون بحث عمَّا يرتبط به من نصوص تفيد إطلاقه أو تخصيص عمومه أو تزيل ما يلابسه من خفاء أو إشكال... إلخ مما هو مقرر لدى أهل هذا الشأن.

فبعض المناوئين للإسلام يتهمون الإسلام بأنه دين قتال، وأنه انتشر بقوة السيف واعتمدوا على بعض نصوص الوحي المطلَقة، وفسَّروها منفصلة عن بقية الآيات المقيَّدة، ومن المعلوم لدى علماء التفسير أن المطلق يُحمل على المقيد إذا وردا في قضية واحدة، وذلك لأن القرآن يفسِّر بعضُه بعضًا، وقد رأينا بعض من يفتي بحرمة القيام لأهل العلم أو الوالدين وتقبيل أيديهم لحديث سمعه يتصل بذلك، دون أن يُلِمَّ بالأحاديث الأخرى التي أباحت القيام لهم توقيرًا وإجلالًا، ورأينا ممن يدعون الإسلام من يحاول أن يثبت أن الإسلام خاص بالعرب وحدهم، وأنه دين جنس معين كاليهودية أو النصرانية وذلك حتى يوقفوا المد الإسلامي في دول العالم المختلفة.

الرؤيا التربوية لمواجهة تطوير الخطاب الديني:

تستمد التربية مفهومها في أي مجتمع من العقيدة أو الفلسفة السائدة فيه، سواء أكانت عقيدة دينية أو فلسفة مثالية أو مادية، ويتأثر مفهوم التربية بعوامل عديدة منها الحضارة السائدة، والأهداف السياسية والاجتماعية.

لذلك يُنظر لعملية التربية على أنها من العمليات المهمة في المحافظة على المجتمع وتطويره، فهي عملية اجتماعية ووظيفية أساسية يحافظ بها المجتمع على مقومات وجوده واستمراره، لذلك أصبحت ضرورة ملحة للمجتمعات والأمم على اختلاف حضارتها ودرجة تمدنها.

والاعتماد على التربية في توجيه السلوك الاجتماعي وضبطه، ليس بالأمر البسيط بل يتطلب تكاثف الكثير من الجهود أثناء الشروع في تحقيقه، لأنه يخص الإنسان بوصفه أفضل ما في الكون من مخلوقات، وميزه الله سبحانه وتعالى وخصه بالعلم والعقل، وخلقه في أحسن تقويم قال تعالى:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين:4)، واستخلفه الله سبحانه وتعالى في الأرض لتعميرها، وسخر له ما في السموات والأرض قال تعالى:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(لقمان:20) قال تعالى: وبناءً على ذلك يمكن إبراز دور التربية كظاهرة اجتماعية، فدور التربية في تنمية الفرد والمجتمع أصبح اليوم من الحقائق المسلم بها بين المربين والاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين، حيث أصبحت نظرة هؤلاء جميعاً إلى ما يصرف على التربية والتعليم على أنه نوع من الاستثمار والتنمية للموارد البشرية، الذي لا تقل أهميته في قيمته عن الاستثمارات في تنمية الموارد المادية[1].

1- نفس المصدر ج/25، ص18.

والمستقرئ لأوضاع التربية والتعليم في البلاد الإسلامية يجد أن النظم التربوية والتعليمية فيها مازالت مشدودة إلى النموذج الغربي أخذاً وتقليداً، وأخطر ما تستعيره أمة من الأمم، وأشده تشويهاً للذات هو مناهج التربية والتعليم[1]، فبعد أن أزيلت الدولة الإسلامية من الوجود قام الاستعمار مقامها، يحكم البلاد العربية مباشرة، ويبسط نفوذه على سائر البلاد الإسلامية، فأخذ يركز أقدامه في كل جزء منها بأساليبه ووسائله الخفية الخبيثة، فوضع مناهج التعليم على أساس فلسفة تربوية ثابتة، وهي وجهه نظره في الحياة التي هي فصل المادة عن الروح وفصل الدين عن الدولة ولم يسمح بجزيئه واحدة أن تخرج عما وضع من مناهج وفرض من برامج، وبذلك نشأ نظام تعليمي لاديني يلقن القيم والمفاهيم بالأساليب الغربية، وسرعان ما أخذت البلاد الإسلامية تغرق بأجيال من الخريجين غالبا ما يكونون على قدر كبير من الجهل بأمور دينهم وتراثهم الإسلامي، لذلك أصبحنا مثقفين ثقافة فاسدة تعلمنا كيف يفكر غيرنا، وتجعل العجز فينا طبيعيا، لأن فكرنا غير متصل ببيئتنا، وشخصيتنا، وتاريخنا، ولا مستمد من مبدأنا[2].

والأمة الإسلامية بعد أن سارت فترة من الزمن مبتعدة عن أفكارها ومنقطعة عن طريقة تفكيرها في وقائع الحياة، مما أوجد في عقليات أبنائها فراغاً فتح لأعدائها فرصة توصيل أفكارهم وترسيخها في قسم من هذه العقليات لتكون بديلا عن مفاهيم الإسلام[3]،وبالرغم من ذلك يتم التركيز من قبل الغرب على أمر تطوير الخطاب الديني، بمعنى تغيير (القيم والتصورات والمبادئ التي يحتويها هذا الخطاب)، والوسيلة لذلك مناهج التربية والتعليم، وفي ذلك يقول مساعد وزير الدفاع الأمريكي دوغلاس فيث "... أما اليوم فإننا بحاجة لإيلاء عناية أكبر لما يغرسه المدرسون في أذهان تلامذتهم هنا مكمن مفتاح السلام)، فقد تنبه الأمريكيون لعظيم أثر مناهج التربية والتعليم في تغيير إسلام المسلمين، لذلك زاد اهتمامهم بها وتركيزهم عليها، فبالمناهج يستطيعون السيطرة على الجيل القادم سيطرة تامة، وكأنهم تنبهوا لحديث الرسول ﷺ (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ)[4]، فهم يريدوا أن يهودوا أو ينصروا لكن لا يبقوا مسلمين.

والتركيز على تطوير الخطاب الديني، إنما يستهدف ثقافة الأمة التي هي العمود الفقري لوجودها وبقائها، فعلى هذه الثقافة تبني حضارة الأمة وتتحدد أهدافها وغايتها ونمط عيشها، وبهذه الثقافة ينصهر أبنائها في بوتقة واحدة، فتتميز الأمة عن سائر الأمم في عقيدتها وما ينبثق عنها من أحكام ومعالجات وأنظمة، وما يبنى عليها من معارف وعلوم، وما دار من أحداث مرتبطة بهذه العقيدة، كسيرة الأمة وتاريخها، فإذا اندثرت هذه الثقافة انتهت الأمة، كأمة متميزة، فتبدلت غايتها وتحول ولاؤها، وتخبطت في سيرها وراء ثقافات الأمم الأخرى[5].

1- نفس المصدر ج/27، ص22.

2- تقي الدين النبهاني " التكتل الحزبي " ط4، من منشورات حزب التحرير،2001م، ص11.

3- هشام البدراني "مفاهيم علماء النفس "، الطبعة الأولى، دار البارق، الأردن، 1997م، ص5..

4- صحيح مسلم، " باب معني كل مولود يولد على الفطرة "، الجزء13، ص127.

5-كتيب أصدره حزب التحرير" أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة "، الطبعة الأولى، دار الأمة للطباعة والنشر، لبنان من منشورات حزب التحرير،2004م،

فالغرب يستهدف عقولاً وفكراً واتجاهات وميولا ومعارف، مما يجعلنا نؤكد أن الغزو العسكري يرافقه غزو فكري وتربوي، سلاحه الأساسي هو التربية والتعليم بمعناها الواسع الذي يجعل منها تلك العملية المتكاملة الشاملة التي تسعي من خلالها إلى تنمية شخصية الإنسان[1].

لذلك كله لا بد وأن يقدح علماء ومصلحو ومفكرو الأمة زناد فكرهم عن حقيقة الأزمة بحثاً عن الطريق الذي يعينها على تجاوز أزمتها ومواجهتها بكل اقتدار، والرد على كل التحديات ودفع كيد الخصوم باستئناف الحياة الإسلامية، وذلك بإيجاد الفكر الإسلامي في الحياة بإرجاع الحياة إليه، أو رجوع الإسلام للحياة، باستعمال الإسلام لتدبير شؤون الإنسان والعالم[2]، ثم لا يقف بها عند هذا الحد بل يساعدها كذلك على أن تصل إلى ما يجعل مكانتها مرموقة بين الأمم.

والأمة الإسلامية لا ينبغي أن توقف مكانها عند حد أن تكون مرموقة، بل لابد أن تحقق وصف الخالق لها بأنها "خير أمة أخرجت للناس". وهذا الوصف ليس وصفاً لحالة موروثة بالفطرة تتسلمه جاهزة، وإنما هو استحقاق مكتسب، لا يجيء إلا نتيجة مجاهدة واجتهاد ومكايدة وكد ومثابرة ومصابرة.

ولا يمكن مواجهة هذا الغزو الغربي لتغيير الإسلام ديناً وفكراً، من خلال الهجوم على الخطاب الديني والدعوة لتطوير هذا الخطاب، إلا بنوعية خاصة من المخرجات التربوية، والتي يقوم إعدادها على تنقية العقيدة من الزيف والزيغ والضلال، وتطهير كل ما يعوقها لتكون قادرة على تحريك الأمة تحريكاً يحفظ لها ذاتها وخصوصيتها، ويعيدها سيرتها الأولى كما قال تعالى:﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(آل عمران:110)، فلا بد من الشروع بالعمل على تطبيق الإسلام كاملاً، وجعل العقيدة الإسلامية أساساً وحيداً لهذا النظام، ففلسفة التربية الإسلامية جزء من فلسفة الإسلام الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها، وعلاقة ما قبلها بما بعدها، فالتربية بهذا المعنى هي نوع من الهندسة الاجتماعية، وهذا ما حاول الإسلام فعله من خلال توجهه لإيجاد مجتمع جديد نقيض المجتمع الجاهلي، والرسالة الإسلامية في مجملها هي رؤية تربوية كاملة تنطلق من أسس وقواعد مختلفة عن أي رؤية تربوية أخري، لهذا الغرض طرح الإسلام نفسه نقيضاً غير مساوم للوضع الجاهلي[3]، قال تعالى:﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(المائدة:50)، فخلق الله الإنسان ليكون خليفته في الأرض يكشف أسرارها وأسرار العوالم المحيطة، مستفيداً مما سخر الله له ليرى قدرة الله وآياته في كل ذلك، ويدير الحياة ويضبطها بحسب التوجيه الإلهي وقال تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾(الأنعام:165) وليتمكن الإنسان من فهم الكون والإنسان والحياة وزوده الله بالقابليات والاستعدادات والقدرات العقلية والنفسية والجسدية التي تمكنه من التلقي عن رب العالمين، وتحويل ما يتلقاه

ص7.

1- سعيد إسماعيل علي " التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين "، مجلة المسلم المعاصر، العدد (85)، السنة(21)، 1997م، ص42.

2- نفس المصدر ، ص6.

3- محمد جواد رضا"التربية الإسلامية تساؤلات حول جدلية الإسلام والحداثة"، الطبعة الأولى، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان،1997م، ص13.

من معارف وأفكار إلى ممارسات وتطبيقات عملية في الأرض[1]، قال تعالى:﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(العلق:4-5) فمن فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهج قويم في تربية العقول والنفوس وتكوين الأمم وبناء الحضارة والمدينة، وذلك لتحويل البشرية التائهة من ظلمات الشرك والجهل، والضلال إلى نور التوحيد والعلم والاستقرار، قال تعالى:﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(المائدة:16).

وإذا كانت الشريعة الإسلامية ربانية شاملة لكل مجالات الحياة، فهي ليست فكرة مجردة في الأذهان ونظريات مدونة في الكتب، بل متحققة في أمة تلمسها الأيدي وتراها العيون. وفي ذلك يقول الشهيد سيد قطب: أن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً، وأن المصحف وحده لا يعمل حتى يكون رجلاً، وأن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً، ولقد انتصر مُحَمَّد ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً، وحول إيمانهم بالإسلام عملاً، وصنع أفراداً تعامل الناس، وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام[2]، فالتربية الإسلامية ترتبط وتنتظم مع الإسلام ذاته فسماتها تنبع من سماته وخصائصها تشتق من خصائصه.

لذلك لابد أن يحرص كل تخطيط جاد، وكل رؤية جادة للحفاظ على الإسلام وإطاره الفكري والتنظيمي، والحضارة الإسلامية في امتدادها الزماني والمكاني وتكاملها الموضوعي، لإعداد النشء إعداداً يجعله قادراً على مواجهة التحديات وتحقيق الغاية من وجوده[3]، ومادام المرء منطلقا من القرآن والسنة، فإنه يستطيع أن يستقصي الخصائص والسمات المميزة للتربية المنشودة، والتي يمكن أن تمثل الرؤيا التربوية لمواجهة التحديات المعاصرة، والتي يجب أن تكون عليه تربيتنا كمسلمين، ومن أبرز هذه الخصائص والسمات ما يلي:

أولاً: الربانية: ربط القرآن الكريم بين الربانية وبين العلم والدراسة وجعل الربانية ثمرتها ونتاجها، فقال تعالى:﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:79)، كما تظهر ربانية التربية الإسلامية في تحديد غايتها وأهدافها التربوية، حيث تجعل تحقيق العبودية لله أسمى الأهداف ونهاية الغايات قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(الذريات:56) وفي إطار هذه الغاية تتكامل أهداف التربية مع بعضها بنائيا وتتساند وظيفيا لتحقيق صفقة العبودية لله وتمثيلها في حياة الفرد والمجتمع[4].

1- ماجد عرسان الكيلاني " تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية "، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1997م، ص26.

2- عبدالله ناصح علوان" تربية الأولاد في الإسلام "، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م، القاهرة، ج1، ص8.

3- أبو القاسم احمد رشوان "التربية الإسلامية والتحديات المعاصرة"، مجلة إسلامية علمية، العدد الأول، المجلد 30. 1995م.

4- بدر مُحَمَّد المحيلبي "مقدمة في الفكر الإسلامي"، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، 2006م، ص55.

ثانياً: الشمول: التربية الإسلامية تربية شاملة لجميع جوانب الإنسان بمكوناته الجسدية والعقلية والروحية، ولنواحي الحياة الفردية والاجتماعية، وللزمان بماضيه وحاضره ومستقبله، وشامله ومتكاملة في علاقة الإنسان بخالقه ونفسه وعلاقته مع غيره، قال وتعالى:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً﴾ (المائدة:3)

ثالثاً: التوازن: فالتربية الإسلامية تعتمد على الضبط وليس الكبت، فقد نظم الإسلام الحاجات العضوية والغرائز تنظيماً يضمن إشباع جميع جوعاتها، ولكن لا بإشباع بعضها على حساب البعض، ولا يكبت بعضها وإطلاق بعض، ولا بإطلاقها جميعاً، بل نسقها جميعها وأشبعها جميعها بنظام دقيق، مما يهيئ للإنسان الهناء والرفاه ويحول بينه وبين الانتكاس إلى درك الحيوان بفوضوية الغرائز، وهي بذلك تراعي في الإنسان كل حاجاته العضوية وغرائزه ولا تلغي أياً منها وتدربه على إشباعها وفقاً لأحاكم الشرع، لينمو إنساناً سوياً[1].

رابعاً: الاستمرارية: فالتربية الإسلامية تربية مستمرة لا تقف عند حد معين، بل تتعامل مع الإنسان قبل ولادته عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ (تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ)[2]، فكان ذلك حرصاً على اختيار الزوج الصالح، أملاً في تكوين أسرة صالحة تقوم بالتربية على أساس من أوامر الله ونواهيه[3].

خامساً: العالمية: بمعنى أن التربية الإسلامية تربية للناس كافة، ليس محددة بجنس من الناس، ولا بعصر من العصور، وإنما هي مناسبة لكل الناس ولكل الأزمنة قال تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:107).

إن هذه الخصائص الفريدة والتي جعلت من التربية الإسلامية تربية متميزة في أسسها ومنطلقاتها، تجعل من الفرد والمجتمع يسير بخطى واثقة ومتزنة باتجاه إيجاد مجتمع متكامل بنائياً ومتساند وظيفياً بكل مكوناته.

ومن أهم الضمانات للأمة للمحافظة على ذاتها وخصوصيتها، هو أن تكون ثقافتها محفوظة في صدور أبنائها وفي سطور كتبها، وأن تكون للأمة دولة تحكمها وترعى شؤونها وفق ما ينبثق عن عقيدة هذه الثقافة من أحكام وقوانين، والطريق إلى ذلك هو التربية والتعليم، وقد بينا خصائص التربية المنشودة، أما التعليم فيجب ضبط سياسة التعليم ضبطاً محكماً من خلال الأحكام الشرعية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية، والتي لها أدلتها الشرعية، مثل مواد التدريس، ومن خلال إعطاء الصلاحية لولي الأمر إقرار القوانين الإدارية من وسائل وأساليب مباحة لتنفيذ النظام وتحقيق غايته، ويتحقق ذلك من خلال الأمور التالية:[4]

أولاً: جعل العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يقوم عليه منهج التعليم عند المسلمين، وأن تتخذ العقيدة الإسلامية مقياساً للأخذ والاعتقاد.

1- نفس المصدر ، ص32.

2- سنن ابن ماجة، "باب الأكفاء "، ج/6، ص106.

3- بدر محمد المحيلبي "مقدمة في الفكر الإسلامي"، ص55.

4- بدر محمد المحيلبي "مقدمة في الفكر الإسلامي المصدر نفسه، ص10-11.

ثانياً: الغاية من التعليم إيجاد الشخصية الإسلامية(العقلية الإسلامية والنفسية الإسلامية).وهذا يتطلب تزويد الناس بالعلوم والمعارف المتعلقة بشؤون الحياة، فتوضع مواد الدراسة على هذا الأساس تجعل طرق التعليم على الوجه الذي ينمي التفكير العميق والمستنير، ويقوي صلة المسلم بخالقه، وتمنع كل طريقة تؤدي لغير هذه الغاية.[1]

ثالثاً: يكون منهاج التعليم واحداً، ولا يسمح بمنهاج غير منهاج الدولة الإسلامية، ولا تمنع المدارس الأهلية مادامت متقيدة بالمنهاج الذي أساسه العقيدة الإسلامية، وقائماً على أساس خطة التعليم وغايته.

وهذه الأسس من شأنها أن تجعل التعليم متميزاً في مرتكزاته ومنطلقاته، في إحداث الآثار التربوية التالية[2]:

- وضوح التصور لحقائق الوجود الكبرى، الكون والإنسان والحياة، ولحقيقتي الإلوهية والعبودية وهذا ما تفتقده التربويات والفلسفات الوضعية المختلفة.
- تكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة بمقوماتها العقلية والنفسية.
- إعداد الإنسان إعداد شاملاً للدار الدنيا والآخرة، وإيجاد تقوى الله في نفس الفرد والمراقبة الذاتية لديه.
- تنمية قدرات أبناء المسلمين المختلفة والاستفادة من هذه القدرات المختلفة الجسمية والعقلية للكشف عن سنن الكون وقوانينه ونواميسه، والارتقاء بالإنسان فكراً وسلوكاً وتطبيقاً. ليكون منهم العلماء المختصون في كل مجالات الحياة، يحملون دولة الإسلام والأمة الإسلامية على أكتافهم، فتكون دولة قائدة ومؤثرة بمبدئها، لا تابعة في سياستها أو في فكرها واقتصادها.

وهذه الرؤيا للتربة والتعليم بهذه الخصائص والأسس، يمكن أن يقدم لنا أفراداً من طراز خاص يملكون قوة التأثير في الحياة وفي من حولهم، ويجعلهم جديرين بقيادة البشرية، وحمل رسالة رب العالمين في هداية العالم من الضلال والشرك والجاهلية والمادية إلى نور الحق، قال تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(البقرة:143).

1- نفس المصدر ، ص8.

2- نفس المصدر ، ص34.

النتائج:

1- التجديد ضرورة من ضرورات هذا الدين وهو من لوازم خلوده إلى يوم الدين ولا يمكن الاستغناء عنه إطلاقا في كل زمان ومكان وذلك لحاجة الناس الماسة والملحة إليه والضرورية، لدنيا الناس وآخرتهم.

2- التجديد مصطلح شرعي، ورد به الحديث الصحيح ويعني: إعادة الدين بعد أن تراكمت عليه البدع والمحدثات، وانطمس جوهره بفعل التأويلات والتحريفات إلى ما كان عليه يوم نزوله،

3- لا يعني أبدا تبديل أحكام الدِّين والإتيان بدين جديد، لأن للتجديد ضوابط وشروط ومعايير علمية أطبق المسلمون عبر عصورهم المختلفة على مراعاتها، فيجب الالتزام بها وعدم الخروج عليها.

4- من أبرز ثوابت الخطاب الديني تحقيقه لجلب المصالح ودرء المفاسد، وتأكيده أن مصلحة الإنسان الحقيقية في اتباع ما جاء به الشرع الحنيف.

5- إن في الشريعة من الركائز والمقومات، ومن الخصائص ما يبيح للمجدد القيام بمهمة التجديد على أتم وأحسن صورة وهي الوحيدة لبناء الفرد وتربية المجتمع.

6- إن طبيعة هذا الدين صلبة، وخطابه واضح لا يقبل التمييع، ولا يحتمل التلبيس، ولا يعرف الترقيعات كما لا يسلم بان (الغاية تبرر الوسيلة)، ولا يرضي بأنصاف الحلول، ولا يهادن الباطل لتحقيق مكاسب عاجلة زائلة، وإنما عقيدة راسخة ثابتة شاملة الحياة كلها بشكل متوازن، يدعو للنظام الوحيد الصالح للبشرية جمعاء في هذه الحياة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

7- بدأ التجديد المنحرف في وقت مبكر من تاريخ الإسلام، واستمر عبر العصور المتعاقبة إلى أن، وصل إلى ذروته في وقتنا الراهن، فالدعوات والمؤتمرات المتعلقة بحوار الأديان وتطوير الخطاب الديني جاءت اتساقًا مع خطة تطوير مناهج التعليم، التي أملتها وأوعزت بها قوى خارجية وداخلية، مستغلة أحداثًا وظروفًا معروفة، فجاءت هذه الحملة استكمالاً لمخطط إعادة تشكيل العقلية المسلمة.

التوصيات:

1-على العلماء المخلصين والدعاة من أبناء الأمة أن يولوا هذا الموضوع اهتماما أكبر وعناية فائقة، لما له من أثر على مستقبل الأمة الإسلامية،

2-على عاتق الخطباء والمدرسين في المساجد دور مهم في توعية أبناء المسلمين على خطر هذه الحملة، والتي تسعى إلى هدم الإسلام، وهذا يتطلب بيان المنطلقات والخلفيات الفكرية لدعوة تطوير الخطاب الديني.

3-تربية الجماهير على الاهتمام بأمر المسلمين والتركيز على ما يجمع الشمل، وتوحيد لخطاب في القضايا الكبرى والاستفادة بفقه الأولويات بحيث يتم ترتيب قضايا الخطاب الديني وفقا للأهم فالمهم فالأقل أهمية.

4-لا بد أن يتسم الخطاب الديني بعدة سمات لكي يكون أكثر فعالية، من أبرزها: التكامل- والتوازن ترتيب الأفكار بشكل منطقي يربط بين المسببات والنتائج.

5- متابعة أبنائنا في تعليمهم، والاطلاع على المناهج الدراسية التي يدرسونها حتى لا يكون أبناء المسلمين فريسة سهلة لدعوات تغيير الخطاب الديني، وللأفكار الغربية.

6- تنبيه أبناء المسلمين إلى خطأ قياس الحق بالرجال، والمفروض أن يقاس الرجال بالحق، والحق هو الإسلام وأفكاره، وهو المعيار الذي نقيس عليه ما يمارس من سلوك فنحكم عليه بالتخطئة أو الصواب.

والمصادر والمراجع:

1-ابن تيمية، أحمد عبدالحليم، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1403هـ-1983م.

2-ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت، لبنان 1973م.

3- ابن هشام " السيرة النبوية "، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، 1999م.

4-أحمد عبدالله الطيار "تأويل الخطاب الديني في الفكر الحداثي الجديد"، حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد 22 المجلد الثالث، 2005م.

5- أبو القاسم أحمد رشوان "التربية الإسلامية والتحديات المعاصرة"، مجلة إسلامية علمية، العدد الأول، المجلد 30. 1995م.

6-التويجري، عبد العزيز، في مفهوم تجديد الخطاب الديني، صحيفة الحياة، الرابط http://alhayat.com/writers

7-بدر مُحَمَّد المحيلبي "مقدمة في الفكر الإسلامي"، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. 2006م.

8- تقي الدين النبهاني " نظام الإسلام "، من منشورات حزب التحرير، ط6، 2001م.

9- تقي الدين النبهاني "الشخصية الإسلامية"، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة،2005م.

10- تقي الدين النبهاني، "الدولة الإسلامية" الطبعة السابعة، دار الأمة للطباعة والنشر، بيروت، 2002م.

11- تقي الدين النبهاني " التكتل الحزبي " ط4، من منشورات حزب التحرير، 2001م.

12- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، الطبعة الثانية 1975.

13- الشريف، مُحَمَّد بن شاكر، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، كتاب البيان، مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى 1425هـ-2004م

14- العلواني، طه جابر، إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية، 1992م

15- العماري، علي، أدعياء التجديد مبددون لا مجددون، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994م.
16- عمارة، مُحَمَّد، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ.
17-الغزالي، أبو حامد مُحَمَّد، إحياء علوم الدين، مكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
18- القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
19-كُتَيِّبٌ أصدره حزب التحرير،" أسس التعليم المنهجي في دولة الخلافة "، الطبعة الأولى، دار الأمة للطباع والنشر، لبنان، من منشورات حزب التحرير، 2004م.
20-سعيد إسماعيل علي " التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادي والعشرين "، مجلة المسلم المعاصر، العدد 85 السنة1997م
21- سمك عبد الله علي عبد الحميد، البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي، مطبعة العمرانية، القاهرة، 1994.
22- سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009 م.
23- سيف الدين الآمدي " الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،1985م.
24- صابر، حلمي عبد المنعم، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، صادر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، السنة السادسة عشرة، . العدد 183 عام 1418هـ.
25- عبدالله ناصح علوان " تربية الأولاد في الإسلام "، الجزء الأول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م.
26- عبد السلام، جعفر، الحفاظ على الهوية الإسلامية في إطار التجديد، نشْر المؤتمر العام الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة.
27- عبد الفتاح، سيف الدين، تجديد الخطاب الديني: الطبعة الانقلابية، موقع عربي21/ 2019م.
28- عطا أبو الرشتة "دراسات في أصول الفقه – تيسير الوصول إلى الأصول" دار الجيل"، لبنان، بدون طبعة.
29- ماجد عرسان الكيلاني" تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية "،الطبعة الثالثة، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.1997م.
31- مُحَمَّد بن عيسى الترمذي أبو عيسى، سنن الترمذي، دار الغد الجديد، طبعة الثانية، 2015م.
32- مُحَمَّد عمارة "الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكاني" دار الشروق الدولية، القاهرة الطبعة

الأولى،2004م

33- مُحَمَّد جواد رضا، "التربية الإسلامية تساؤلات حول جدلية الإسلام والحداثة"، الطبعة الأولى، دار اليازوري العلمية للنشر، عمان، 1997م

34- مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ.

35- مُحَمَّد، مُحَمَّد عماد، "خطبة الجمعة في العالم الإسلامي ملاحظات لابد منها"، كتاب الأمة، العدد 28، وزارة والشؤون، الإسلامية، قطر.

36- محمود عبدالكريم حسن "المصالح المرسلة "، دار النهضة، الطبعة الأولى، 1995م.

37- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر، دار طيبة 1427هـ- 2006م.

38- هشام البدراني، " مفاهيم علماء النفس "، الطبعة الأولى، دار البارق، الأردن.1997م.

39- يحي، مُحَمَّد، تجديد الخطاب الديني: ضرورة فهم المصطلح ومقاصده، موقع المقالات، إسلام ويب 2019، العدد 183.